حملة ابرهة (اصحاب الفيل) في القران الكريم وفي كتب التفاسير والتاريخ والسير

أ.م.د. شذى عبد الصاحب عبد الحسين
معهد الفنون الجميلة للبنين / بعقوبة

الملخص:

يتناول هذا البحث دراسة حملة ابرهة (أصحاب الفيل) على مكة لهدم بيت الله الحرام فيها، وماتذكره لنا كتّب التفاسير ومصادر التأريخ والسير من روايات متشابهة وأحياناً قليلة مختلفة أو منفردة في ذكر احداث وتفاصيل هذه الحملة ، وعن اسبابها ودوافعها . فبعد الاحتلال الحبشي الثاني لليمن واسقاط الدولة الحميرية في عام (٥٢٥ م) وانفراد أبرهة بن صباح أبويكسوم الاشْرم في حكم اليمن، وقيامه ببناء كنيسته (القُلَّيْس) والتي تُعد من أهم أعماله في اليمن ، وقد بالغ ابرهة في الاعتناء بكنيسته هذه وتزينها وأتقانها، حتى يصرف اليها حجيج العرب للحج والمتاجرة ولينافس بذلك مكة وبيتها الحرام ، فلما رأى أنه فشل في ذلك فشلاً ذريعاً ،وان العرب لاتتجه إلا الى البيت العتيق ، ورأى أهل اليمن يدعون البيت الذي بناه أبرهة ولايعتبرون حجهم مقبولاً إلا بمكة، لم يجد حاكم الحبشة على اليمن وسيلة إلا هدم بيت الله الحرام ، لذلك سار ابرهة على رأس جيش كبير من الاحباش يتقدمهم فيل ضخم يقال له (محمود)، وعندما وجهوه لدخول الحرم ربض على الارض ورفض النهوض ، حتى إذا كان الصباح نكبهم الله وأذلهم وارسل عليهم طيراً كثيرة زمراً زمراً ترميهم بحجارةٍ من سجيل فيها هلاكهم وعذابهم فجعلهم كعصفٍ مأكول ، فأصيب أكثر من في هذه الحملة وهلكَ وفرَ منْ بقيَ منهم الى اليمن ومعهم ابرهة وقد أصيب ببدنه وهلك بعد وصولهم اليمن بقليل، وحمى الله مكة وبيتها الحرام وأفشل الله أبرهة وجنده وأخزاهم ، وكان أرتداد أصحاب الفيل وما حلت بهم من نكبة قبل البعثة النبوية وكما صورها سبحانه وتعالى تصويراً بليغاً في سورة الفيل وكما جاء في كتابه ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ١ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ ٢ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ٣ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ٤ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ٥﴾

ويعد فشل حملة ابرهة على مكة من العوامل التي وطدت لمكة مركزها وهيبتها ودورها الفاعل بين قبائل شبه الجزيرة العربية واصبح تاريخ هذه الحملة في عام (٥٧٠ م) أساساً للتأريخ يؤرخ به العرب احداثهم المهمة وسمي هذا العام بـ(عام الفيل) وقد جاءت روايات المفسرين والمؤرخين وأهل السير مطابقة لما جاء في القرآن الكريم ، ولتوضيح وتفسير وتفصيل ما أجمله القرآن الكريم .

Abraha's Campaign (Ashab- al Fil) in holy Koran and books of Interpretations , History and BiograPhies.

PH.D.Shatha Abid Al-Sahib Abid Al-Hussein
Inistitute of Fine Arts / for Girls -Baquba

Abstract:

This research deals with Abraha´s Campaign (Ashab al Fil) on mecca to destroy Al-Kaaba (Bait Allah Al-harram) in (Five Hundred Seventy After Christ) (Al.Fil year) . in which that all books of interpretations, history and biographies mentioned similar or different details about this campaign, its events and causes.

It is to worthy tomention that , after the fallen of (Al.Humyria state). And the second Abyssian invasion to yemen , when Abraha and no one else rulled yemen , tried to diverse or prevent Arabs from going to mecca (Bait Allah Al Harram) to another place , so he decided to build a church in sanaa called (Al- Kullayss) and spent every thing on its building decoration … But he extremely faild because Arabs refused to replace (Bait Allah Al-Harram) with another place , amatter which made Abraha led agreat army headed by ahuge Fil , never seen like him befor , but he extremely defeted with

his army and the huge Fil as it was mentioned by holy Koran , through (Al-Fil Sorraha) to show the greatness of Almighy God to destroy Abraha by sending huge birds Carried rigid stones throwing Abraha and his Soldiers .

By this great event , the pride and dignity of Kuraish increased among other tribes of Arab penensulla. so , the date mentioned above became an essential date by which Arabs can registrate and document all their important events in Arab penessulla

المقدمة:

تميزت مكة المكرمة عن سائر مدن شبه الجزيرة العربية بأهمية كبيرة ليس في الحقبة الاسلامية فحسب، بل تمتد الى أبعد من ذلك بكثير .

إذ تُعد مكة أولى مدن الحجاز وعاصمته لاحتضانها بيت الله الحرام ، فمنَّ الله عليها بنعم لم تتوافر لمثيلاتها من المدن العربية من قدسية وأمن وسلام ومكانة متميزة في نفوس العرب.

ارتبط تاريخ مكة ونشأتها ببناء الكعبة والحرم ومناسكهما اللذين ارتبطا بالنبي ابراهيم وابنه اسماعيل (عليهما السلام) . ويعود هذا الى القرن التاسع عشر قبل الميلاد . وان اسماعيل وامه هاجر أول من أتخذ هذا الوادي موضعاً لسكناهما، وان هذا المكان كان قبل ذلك بقعة مباركة معروفة وكما اشار الى ذلك ابراهيم (عليه السلام) في دعائه﴿**رَّبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ الصَّلاَةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ**﴾ [١]

وان ابراهيم وابنه اسماعيل عليهما السلام هما اول من بناه ورفع قواعده ، وكما جاء في قوله﴿ **وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ** ﴾ [٢]

ومكة بلدٌ في وادٍ ضيق غير ذي زرع ، تُشرف عليه جبال جرد ،وليس فيه مياه جارية وعيون غزيرة ، غير آبار محفورة ، وهي بذلك لاتصلح أن تكون ارضاً ذات نخيل وزرع ، لكن الله حباها بموقع جغرافي متميز وسط طريق القوافل المحاذي للبحر الاحمر الذي يربط اليمن بكل من بلاد الشام والعراق . وذلك مكنها من أن تقوم بدور الوسيط في التجارة ما بين عالمين مختلفين ، شأنها في ذلك شأن تدمر بالنسبة للفرس والرومان وساعد سكانها في استيراد ما يحتاجون اليه من الاطراف والخارج ، وبذلك ينعموا بتجارة تضمن معاشهم وتغنيهم وأن من أهم العوامل التي ساعدت أهل مكة على إقامة علاقات تجارية طيبة مع قبائل شبه الجزيرة العربية والاسواق التجارية في أطرافها والدول المجاورة لها هو استثمارهم لمركز مكة الديني بين العرب ، حيثُ الكعبة بيت الله الحرام الذي يحج اليه العرب من مختلف انحاء شبه الجزيرة العربية للتبرك ولتقديم النذور والقرابين. وقد كان الحج الى بيت الله الحرام في مكة من مصادر الثروة فيها الى جانب كونه مظهراً دينياً للعرب قبل الاسلام ، ومن وسائل التكسب بالتجارة ، فكانت تقام في مواسم الحج في الاشهر الحرم اسواق تجارية وأدبية . لقد كان ابناء القبائل العربية ينظرون الى ابناء قبيلة قريش نظرة أكبار واحترام ، الأمر الذي سهل عليهم عقد أحلافٍ تجارية مع القبائل والدول التي تقع مواطنها على طريق قوافلها التجارية لضمان سلامة هذه القوافل اتجاه الاعتداءات التي قد تتعرض لها من قبل ابناء تلك القبائل ، ولتضمن لها الامن والحماية على وفق شروط معينة . وقد دُعيت تلك الاحلاف

التجارية بـ (الايلاف) ، وقد آشار القرآن الكريم الى هذه الاحلاف وعدها من النعم التي أنعم الله تعالى بها على قريش لتضمن لنفسها الأمن والرفاهية .

لقد كانت قبيلة قريش قبل عقد هذه الاحلاف تمارس تجارتها على نطاق ضيق ، وفي حدود مكة ، فكان أهلها يتاجرون مع من يقصد مكة ، لذا فقد كانت ارباحهم قليلة ، وقد نجح ابناء عبد مناف وهم كل من هاشم والمطلب وعبد شمس ونوفل في الحصول على موافقة حكام بلاد الشام واليمن والحبشة بالسماح لقبيلة قريش بالمتاجرة في بلادهم .

ومن الملاحظ ان تجارة مكة كانت قد ازدهرت في القرن السادس الميلادي وكان من ابرز عوامل ازدهارها تدهور الاوضاع في اليمن وتطور الصراع بين الامبراطورية الساسانية والبيزنطينية ، مما أفسحَ الطريق امام تجار مكة لاستثمار هذه الظروف لتنمية نشاطاتهم التجارية ، وقد تضاءل بذلك شأن تجار اليمن واكتفوا بالتجارة مع قريش . وقد استمر الحال كذلك ولاسيما بعد الاحتلال الحبشي الثاني لليمن وسقوط الدولة الحميرية في عام (٥٢٥م) .

لقد دأب الاحباش منذُ احتلالهم لليمن على نشر المسيحية فيها ولاسيما بعد انفراد ابرهة الحبشي في حكم اليمن كنائب عن ملك الحبشة فيها . وقد حاول ان ينافس مكة في مكانتها الدينية ولعله بذلك ينتزع منها تجارتها الداخلية ، فلذلك قام ببناء كنيسة (القُلّيْس) في صنعاء التي تعد من اهم اعماله في اليمن ، وقد بالغ في الاعتناء ببنائها وتزينها ، ليجلب اليها العرب للحج والمتجارة فلما فشل في ذلك فشلاً ذريعاً ، فلم يجد حاكم الاحباش على اليمن وسيلة الا هدم بيت الله الحرام في مكة ، فسار الى مكة على رأس جيش كبير من الاحباش يتقدمهم فيل ضخم يقال له محمود ، وعند اقتراب ابرهة وجنده من مكة ، وعند تعبئة جنده واستعداده لدخول الحرم . بعث الله على ابرهة وجنده طيراً كثيراً زمراً زمراً من البحر تلقي عليهم حجارة من سجيل فيها هلاكهم ، فلم ينجوا منهم الا القليل ، ففر أبرهة مع من بقي من جنده منهزماً الى اليمن بعد ان اصيب ببدنه وهلك بعد وصوله صنعاء بقليل ، وبذلك افشل الله تعالى حملة أبرهة وحمى الله تعالى بيته وبلده الامين من طمع الطامعين واعز مكة وأهلها . ولأهمية هذه الحادثة (اصحاب الفيل) وما تركته من أثر بليغ في نفوس اهل مكة وما اسفرت عنه من نتائج مهمة أدت الى رفع مكانة مكة وقدسيتها بين العرب وازدادت هيبة قريش ومكانتها بين قبائل شبه الجزيرة العربية ، لهذا صور القرآن الكريم هذه الحادثة (اصحاب الفيل) وما حل بأبرهة وجنده من عذاب اليم تصويراً بليغاً في (سورة الفيل) وقد اصبحت هذه الحادثة مبدأً للتاريخ فأرخ العرب لهذه الحادثة وسمي هذا العام بعام الفيل الموافق (٥٧٠م) .

وقد اوردت المصادر المهمة من كتب التفاسير والتأريخ والسير روايات متشابهة عن تفاصيل هذه الحادثة ، وقليلاً ماتنفرد المصادر في ذكر روايات لم تذكرها المصادر الاخرى .

ولكي تعمّ فائدة هذا البحث ويزداد الانتفاع به ، ووفقاً لما اقتضتهُ طبيعة هذا البحث ومنهجيته أرتأيت أَن أجعله في أربعة مباحث وخاتمة.تضمن المبحث الاول : علاقة مكة مع اليمن، والثاني : علاقة مكة مع الحبشة ، والثالث : بناء القُلّيْس وموقف العرب منها ، أما المبحث الرابع: فهو حملة ابرهة على مكة (اسبابها ونتائجها) .

المبحث الاول/ علاقة مكة مع اليمن:

إن العلاقات اليمنية الحجازية قديمة جداً ترجع باصولها الى مرحلة تأريخية أبعد في التأريخ من مرحلة الاحتلال الحبشي الاول والثاني لليمن وسقوط الدولة الحميرية في سنة (٥٢٥م) . والتي ترجع الى أيام الدولة المعينية ثم السبئية والحميرية (١٣٥٠ ق.م – ٥٢٥م) . الذين أمتد نفوذهم إلى شمال بلاد الحجاز ، حيث اسسوا لهم محطات تجارية على طول الطريق التجاري ، في معان والعلا ،وهذا ما اثبتته النقوش التي وجدت في هذه المناطق . وفي أيام هذه الدول ، ومكة لم تكن سوى محطة تمر بها القوافل التجارية [٣] وتذكر الروايات التأريخية أن التبع تبان أسعد أبي كرب ابن كُلى كرب بن زيد بن سهل بن عمرو ... الذي ينتهي نسبه الى يعرب بن قحطان ، كان قد عمر البيت الحرام وكساه الوصائل وهي ثياب حبرة من عصب اليمن وجعل لها باباً يُغلق ، ولم يكن يُغلق قبل ذلك بعد أن أراد هدمهُ وتخريبه فصرفه الله تعالى عن ذلك [٤].

لقد كانت القبائل الجنوبية ، هي أول من سكن مكة . ومنهم العمالقة أو العماليق : وهؤلاء من القبائل العربية البائدة التي ترجع اصولها الى حمير[٥] ومن ثم جرهم ، وهي من القبائل العربية المهاجرة من اليمن بعد ان تصدع سد مأرب فيها ، وهم من العرب البائدة ويعود نسبهم الى قحطان بن عامر[٦] وتذكر الروايات ان قبيلة جرهم اليمانية هي اقدم القبائل التي اقامت في مكة بعد ان تفجرت زمزم فيها ، وقد غلبت جرهم على ولاية البيت وحكم مكة [٧] .

وفي عهد قريش وخلال ولايتهم البيت وسيادتهم على مكة وفي رواية لابن حبيب [٨] يذكر فيها ان قريش كانوا تجاراً وكانت تجارتهم لاتعدوا مكة إنما يتقدم عليهم الاعاجم بالسلع فيشترون منهم ثم يبتاعون بينهم ويبيعون لمن حولهم من العرب ، حتى كان عهد ابناء عبد مناف بن قصي بن كلاب وهم هاشم والمطلب وعبد شمس ونوفل ، إذ نجح هؤلاء في الحصول على موافقة حكام بلاد الشام والعراق واليمن والحبشة بالسماح لقريش بالمتاجرة في بلادهم وعقدوا الايلاف معهم ، وقد يكون ذلك في مطلع القرن السادس الميلادي. ويرجع الفضل الى هاشم بن عبد مناف في سن رحلتي قريش: رحلة الشتاء الى بلاد الشام ورحلة الصيف الى الحبشة ، وقيل ان رحلة الشتاء الى اليمن والحبشة والعراق ، ورحلة الصيف الى الشام [٩] .

وقد اشار القرآن الكريم الى هذه الاحلاف التي عقدتها قريش ايضاً مع القبائل والاقوام المجاورة والتي كانت تقطن على طريق قوافلها التجارية لكي تضمن لنفسها الامن والرفاهية ،وهي

من النعم التي انعم الله تعالى بها على قريش وما كانوا يألفونه من رحلتي الشتاء والصيف ثم يرجعون الى بلدهم آمنين [١٠] .

وكما جاءفي قوله تعالى :﴿ **لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ ١ إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاء وَالصَّيْفِ {قريش/٢} فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ ٣ الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ ٤**﴾ [١١] .

لقد كان المطلّب اكبر اولاد عبد مناف قد اتصل بأقيال اليمن الحميريين وعقد معهم الايلاف على ان تقوم قريش بالمتاجرة في بلادهم ، ويبدو ان اتصال تجارة قريش باليمن كانت قد بدأت منذ ذلك الوقت أي في بدايات القرن السادس الميلادي ، وبعد اضطراب الأوضاع في اليمن ومن ثم سقوط الدولة الحميرية فيه على يد الاحباش في عام (٥٢٥م) ، واشتداد الصراع بين الفرس والروم وقد أدى ذلك الى فقدان اليمن لمركزها التجاري وبذلك تضاءل دور تجار اليمن واكتفوا بالتجارة مع قريش إذ كانوا يبيعون بضائعهم الى تجار مكة اذ قدموا الى الشمال [١٢]أما عن أهم البضائع التي كان يتاجر بها تجار اليمن مع قريش فهي الجلود المذهبة (الادم) التي كانت تصنع في الطائف واليمن ، فضلاً عن ذلك ما اشتهرت به اليمن من أنواع الطيب والعطور واللبان والمر واللادن والكافور [١٣] .

ومثلما كانت لمكة وكعبتها من مكانة ونفوذ كبير بين عرب الشمال ، كذلك اصبحت مكانتها عظيمة في نفوس عرب الجنوب من اليمن الذين فقدوا استقلالهم بأحتلال الاحباش لهم ، لذلك نرى أن اهل اليمن غضبوا حين جهز ابرهة حاكم اليمن الحبشي حملته لغزو مكة وهدم كعبتها فتصدت له بعض القبائل اليمانية واشرافها وهذا ماذكره لنا ابن هشام [١٤] في روايته قائلاً : فخرج لأبرهة " رجل من اشراف اهل اليمن وملوكهم يقال له : ذو نفر فدعا قومه ، ومن أجابه من سائر العرب الى حرب أبرهة وجهاده عن بيت الله الحرام وما يريد من هّدْمه واخرابه فأجابه الى ذلك من اجاب ، ثم عرض له فقاتله ، فهزم ذو نَفْر وأصحابه وأخذله ذو نفر فأتى به أسيراً ... "

وقد قامت علاقات صداقة ومودة بين زعماء مكة ورجالات اليمن ، فتذكر لنا المصادر عن صداقة عبد المطلب بن هاشم لذي نفر وعن صداقة عبد المطلب وبعض اقيال اليمن ووفادته هو وجلة من قومه الى قصر غمدان في صنعاء لتهنئة سيف بن ذي يزن أبي مرة بعد انتصاره على الاحباش وطردهم من اليمن وتنصيبهُ ملكاً عليها ، وكان ابو سيف احد ملوك اليمن وقد أكرم سيف بن ذي يزن هذا الوفد وقدمَ عبد المطلب وآثره عليهم جميعاً[١٥].

المبحث الثاني/ علاقة مكة مع الحبشة:

كانت شبه الجزيرة العربية تربطها مع البلاد المحيطة بها وشائج قوية واواصر محكمة ، فكانت أحياناً تنقل هذه الجزيرة الى جاراتها بواسطة تجارها أفراداً وجماعات محصولات بلادهم وما ينقلونه من محصولات البلاد الاخرى وأحياناً اخرى يفد شعراؤها ورؤساء قبائلها واصحاب الرأي فيها الى ملوك المناذرة أو الغساسنة أو بلاط كسرى أو الحبشة ومصر [١٦] .

وما يعنينا في بحثنا هذا من هذه البلدان ، بلاد الحبشة ، وقد وصفها اليعقوبي [١٧] وصنف مرتبتها بين ممالك الارض قائلاً : " ثم المملكة السادسة وهي مملكة النجاشي وهو بلد واسع عظيم الشأن ومدينة المملكة كُعبر ولم تزل العرب تأتي اليها للتجارات ولهم مدن عظام وساحلهم دَهلك ... "

أما عن بدايات العلاقة بين مكة والحبشة فأنها تبدأ منذُ خرجت مكة بتجارتها الى المجال الخارجي ، أي في الوقت ذاته الذي اتصل فيه المطلب بأقيال اليمن وعقد معهم الايلاف للمتاجرة في ارضهم ، وخرج أخو هاشم عبد شمس بن عبد مناف الى النجاشي الاكبر ملك الحبشة ، فأخذ منه كتاباً وعهداً لتجارة قريش في ارض الحبشة [١٨] .

ويذكر اليعقوبي [١٩] في رواية انفرد بها : " ولما هلك هاشم بن عبد مناف جزعت قريش وخافت ان تغلبها العرب فخرج عبد شمس الى النجاشي ملك الحبشة فجدد بينهُ وبينه العهد ثم انصرف فلم يلبث ان مات بمكة " .

ونستدل من ذلك ان خروج عبد شمس ربما كان لمرتين مرة في حياة أخيه لعقد الايلاف وهذا ما ذكرته المصادر الاخرى ، ومرة اخرى عندما ارسلته قريش لتجديد هذا العهد بعد وفاة اخيه هاشم مع نجاشي الحبشة خوفاً على المكانة التجارية والامتيازات التي حصلت عليها قريش بفضل الايلاف الذي عقده اولاد عبد مناف مع القبائل العربية والممالك المشرفة على طرق تجارتها ، ومنذ ذلك الوقت اصبحت أرض الحبشة متجراً لقريش يتجرون فيه فيجدون سعة للرزق وأمناً [١٩] واصبح تجار مكة وساداتها يَفدون الحبشة وتربطهم بنجاشي الحبشة وأهلها صلات طيبة ، وتذكر بعض المصادر أن عبد المطلب لما تخاصم مع نديمه أمية بن حرب تنافرا في خصومتهما الى نجاشي الحبشة اولاً [٢٠] وتورد بعض الروايات ان جماعة من الاحباش كانوا يقيمون في مكة لرعاية مصالح الحبشة التجارية [٢١] .

لقد كانت تجارة مكة بصورة عامة برية وعلى الرغم من ذلك فقد كان لمكة صلات قوية بالحبشة عن طريق البحر الاحمر ، إذ كانت الشعيبة ميناء مكة قبل جدة ، وقيل ان قريش كانت تعتمد على سفن حبشية أو مصرية في نقل تجارتها وانهم كانوا يركبون سفناً حبشية عند ذهابهم الى الحبشة [٢٢].

وتعد الحبشة مصدراً مهماً من مصادر التجارة الشرقية فقد كانت تنتج البخور واللادن والاطياب وريش النعام والجلود والتوابل وكان اهل الحجاز بزعامة قريش يشترون السلع من الحبشة ثم يبيعونها لحسابهم في اسواق مصر والشام [٢٣]كما كانت منطقتهما المصدر الاول لتجارة الرقيق الاسود ، ويشكل هؤلاء النسبة الاكبر من العبيد في مكة والتي كانت تطلق عليهم تسمية الاحباش نسبة الى الحبشة إذ تمثل مكة سوقاً رائجة لهذه التجارة الى جانب اسواق اخرى للعرب في شبه الجزيرة العربية [٢٢] ، وكانت قريش تحمل الى الحبشة ماتحتاج اليه من حاصلات الشام ومصنوعاتها ، ومن حاصلات شبه الجزيرة العربية نفسها ، وكان اعجب ما يأتي النجاشي من مكة الآدم [٢٥] .

وتعد الحبشة من المراكز التي انبعثت منها النصرانية الى بلاد اليمن والحجاز ، ونجاشي الحبشة كان نصرانياً على المذهب اليعقوبي [٢٦] .

وفي العصر المكي للدعوة الاسلامية ، كانت مكة تتمتع بعلاقات طيبة ووطيدة مع الحبشة ، وكان تجار قريش على صلات دائمة معها وعلى معرفة بأحوالها ، إذ كانت الحبشة متجراً لهم ، ولربما لهذه الاسباب وبوحي من الله تعالى امر رسوله الكريم محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) اصحابه المسلمين في مكة بالهجرة الى ارض الحبشة فراراً بدينهم من الفتنة ولاسيما بعد تضييق زعماء قريش عليهم ومحاولاتهم فتنة المسلمين من ابنائهم واخوانهم وقبائلهم ، وقد اثنى رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) على نجاشي الحبشة ووصفه بأنه حاكم عادل لايظلم عنده أحد ، وأن ارضه ارض صدقٍ ، فوجد المسلمون في ارض الحبشة ملجأً وآمناً ، وحسن استقبال ورعاية لهم ، وهذه كانت الهجرة الاولى في الاسلام .

وعلى الرغم من العلاقات الطيبة بين الحبشة ومكة ، الا ان نجاشي الحبشة رفض مساعي وفد قريش الذي كان محملاً بالهدايا في اقناعه بأرجاع المهاجرين من المسلمين الى مكة [٢٧] .

المبحث الثالث/ بناء القُلَّيْس وموقف العرب منها:

أدت مكانة مكة ومقام بيتها الحرام الى إقامة بعض البلاد العربية البعيدة معابداً أو بيوت عرفت ببيوت الله يقصدها الحجيج في مواسم معلومة تشترك فيها القبائل البعيدة ، ومن هذه البيوت على سبيل المثال معبد (المقة) آله القمر اقامه السبئيون في مأرب وصرواح من أرض اليمن وبيت(الأُقيصر) في مشارف الشام مقصد قبائل قُضاعة ولخم وجذام وعاملة ، وأقام أبرهة الحبشي بيتاً في اليمن [٢٨].

وكان هذا بعد الاحتلال الحبشي الثاني لليمن واسقاط الدولة الحميرية التي كانت تحكم اليمن سنة (٥٢٥م) ، وتذكر المصادر أن نجاشي الحبشة ارسل جيشاً الى اليمن بعد أن وصله

كتاب قيصر الروم يأمره بذلك . وكان تعداد هذا الجيش سبعين الفاً من الحبشة وأمرّ عليهم رجلاً منهم يقال له أرياط ، ومعه في جنده ابرهة [٢٩] اما ابن اسحاق [٣٠] فيذكر ان تعداد هذا الجيش كان ستين الفاً . وقد يكون جيش الحبشة كبيراً لكن الرواة بالغوا في تعداده اما الازرقي [٣١] فيذكر في رواية له : لما ظهرت الحبشة على ارض اليمن كان مُلكهم إلى أرياط وأبرهة ، وكان أرياط فوق ابرهة فأقام أرياط باليمن سنتين في سلطانة لاينازعه أحد ، ثم نازعه ابرهة الحبشي المُلك ، بينما يذكر ابن اسحاق والطبرسي في رواية ينفردان بها ان قائد الجيش الحبشي المحتل لليمن كان اسمه روزبة [٣٢] لقد استطاع ابرهة بالحيلة والدهاء ان يغدر بأرياط عند مبارزته بعد ان رفع ارياط حربته فضرب بها رأس ابرهة فوقعت على جبهته فشرمت حاجبه وعينه وانفه وشفتيه ، لذلك لقب ابرهة بالاشرم ، ثم استطاع بعد ذلك غلام ابرهة عتودة من قتل ارياط غدراً ، واستأثر بعد ذلك ابرهة بن صباح ابو يكسوم في حكم اليمن ، دون أذن ملكهم نجاشي الحبشة فغضب النجاشي على ابرهة غضباً شديداً وتوعده بالعقاب . لكن ابرهة مرة اخرى نجح بدهائه في استرضاء والدخول في طاعة نجاشي الحبشة وبقائه حاكماً على اليمن [٣٣] .

لقد دأب الاحباش منذُ استيلائهم على اليمن الى نشر الديانة المسيحية فيها لهذا كان بناء ابرهة لكنيسته (القُلَّيْس) في صنعاء من اهم اعماله في اليمن [٣٤] .

والقُلَّيْس في اللغة : تصغير قلس وهو الحبل الضخم المصنوع من ليف أو خوص النخيل ، وقلسّ يُقلس قلساً وقلساناً فهو قالس ، والتقليس : لبس القلنسوة : وهي لباس الرأس مثل العمائم [٣٥] وقيل انها سميت بالقُليِّس لأرتفاع بنايتها ومنه القلانس لانها توضع في اعلى الرؤوس ، ويقال تقلس الرجل اذا لبس القلنسوة ، وقلس طعامه إذا أرتفع من معدته الى فيه [٣٦] ويذكر الاستاذ جورجي زيدان [٣٧] ان اسم القُليِّس " هو تحريف للكلمة اليونانية أكليزا Ekklessia اي كنيسةِ " وتجمع المصادر على ان ابرهة قد عُني غاية العناية واجتهد في بناء وتزيين وزخرفة كنيسته القليس التي لم يرَ مثلها على الارض في ذلك الزمان . وقد كان موقعها في صنعاء على بعد فراسخ من قصر الملكة بلقيس والذي فيه اثار ملكهم ، وبلقيس صاحبة الصرح الذي ذكره الله تعالى في قصة سليمان (عليه السلام) في القران الكريم وقد نقل ابرهة من هذا القصر كل مايحتاج اليه من حجر أو رخام أو آلة للبناء وقد استذل بذلك اهل اليمن وأجهدهم بأنواع السخر في هذا البناء[٣٨]

لقد أورد الازرقي [٣٩] وصفاً دقيقاً ومفصلاً عن تصميم القليس وبنائه قائلاً : انه كان مربعاً مستوي التربيع وجعل طوله في السماء ستين ذراعاً يصعد اليه بدرج من الرخام وحوله سور بينه وبين القليس مائتا ذراع وكان له باب من النحاس طوله عشر اذرع في اربعة أذرع عرضاً .

وقد بنيت هذه الكنيسة بحجارة اهل اليمن الجروب مطابقة منقوشة ثم فصلها بحجر من الرخام المجزع الاخضر والاحمر والابيض المنقوش بالذهب والفضة والفسيفساء ، ونصب فيها

صلباناً من الذهب والفضة ومنابر من العاج والابنوس ، وحلاها بالذهب والفضة ورصعها بالجواهر وفيها ياقوتة حمراء عظيمة ، وأوقدَّ فيها المندل ولطخها بالمسك وجعل فيها قباباً من ذهب ، وكان السبب وراء ارتفاع بنيانها حتى يشرف منها على بحر عدن [٤٠] .

ولما انتهى أبرهة من بناء القُلّيْس كتب كتاباً الى نجاشي الحبشة يخبره بذلك قائلاً : " أني قد بنيت لك ايها الملك كنيسة لم يبنَ مثلها لملك كان قبلك ولست بمنته حتى أصرف اليها حاج العرب " [٤١] .

ومن الملفت للنظر ان كتاب السير باستثناء ابن هشام [٤٢] لم يذكروا نص رسالة ابرهة لنجاشي الحبشة وقد اكتفوا بالقول : أن ابرهة بعد انتهائه من بناء القُلَّيْس ، أمر اهل مملكته بالحج اليها يضاهيبذلك البيت الحرام [٤٣] علماً ان ابن هشام لم يذكر مصدر روايته تلك وكذلك الطبري . وقد يكون الطبري قد نقلها عن ابن هشام . ولربما كان وراء بناء ابرهة لكنيسته القليس دوافع واسباب عديدة نستنتجها من خلال قراءتنا المتمعنة للروايات والنصوص التي ذكرناها في هذا البحث ، ولعل ابرزها سعة طموح ابرهة في السيطرة والنفوذ لا يثنيه في ذلك نوع الوسيلة في الوصول لتحقيق طموحاته واهدافه ، كما في قصة قتله ارياط ووصوله الى حكم اليمن ، إذا كان بنائه للقليس حسب ما اورده في كتابه لنجاشي الحبشة ليضاهي بها مكة وبيتها الحرام ، لهذا حرص على ان تكون كنيسته في صنعاء غاية الفخامة والروعة ، لكي يجلب اليها العرب للحج والمتاجرة ، وهذا ماسنوضحه في المبحث الرابع .

وقد يكون الدافع الاخر من وراء بناء ابرهة للقُلَّيْس هو لنيل رضا واستحسان ملكهُ نجاشي الحبشة وهذا ما نستدلُ عليه من كتاب ابرهة للنجاشي .

وقد يكون طموح ابرهة في الوصول الى المجد والشهرة أحد الاسباب المهمة وراء بنائه القُلَّيْس والتي عدها المؤرخون أهم اعماله في اليمن ، لهذا نراه قد بالغ واجتهد في العناية ببنائها وزخرفتها [٤٤] .

اما عن موقف العرب من بناء ابرهة لكنيسته القُلَّيْس في صنعاء ومحاولته ان يجلب اليها حجيج العرب للحج (والمتاجرة) ، اذ تسوق لنا الروايات حادثة نستطيع ان نستطلع من خلالها ردة فعل العرب وموقفهم من القُلَّيْس ، فبعد ان سمع العرب ما جاء في كتاب ابرهة لنجاشي الحبشة وتحدثوا به كبُر عليهم ذلك ، وفي رواية لابن هشام [٤٥] نقلاً عن ابن اسحاق قال فيها : غضب رجلٌ من النسأة* أحد بني فقيم بن عدي بن عامر والذي ينتهي نسبه الى كنانة ، فخرج حتى أتى القُلَّيْس فقعد فيها : أي احدث فيها ، ثم خرج فلحق بأرضه "

ولعل في هذه الرواية رداً حاسماً نستدل من خلاله على موقف العرب من القُلّيْس وفشل ابرهة في محاولته جعل كنيسته بديلاً ومنافساً لبيت الله الحرام في مكة ، وعن مدى احتقار العرب

لها لأنها ليست أَهلٌ لتلك المنافسة . وهذا ما ستوضحه ايضاً في المبحث الرابع . فلم يجد ابرهة حاكم اليمن من قبل الاحباش وسيلة أمامهُ الا هدم بيت الله الحرام .

المبحث الرابع/ حملة ابرهة على مكة اسبابها ونتائجها:

وتذكر لنا المصادر ، ان ابرهة لما بُلغ بما صنع الرجل الكناني من بني فقيم في احداثه وتدنيسه القُلّيْس غضب غضباً شديداً ، وقال من صنع هذا؟ فقيل صنعهُ رجل من اهل هذا البيت الذي تحج العرب اليه بمكة لما سمع من قولك : اصرف اليه حاج العرب ، أي انها ليست لذلك أهل ، فأقسم ابرهة ليسيرنَّ الى البيت فيهدمه [٤٦] .

وجهز ابرهة جيشاً كبيراً من الاحباش ومن تبعهُ من اهل اليمن وهم قبائل عك والاشعريون وخثعم[٤٧] ، ويذكر ابن كثير [٤٨] في رواية له : ان ابرهة لما سار الى مكة في جيش كثيف استصحب معه فيلاً عظيماً كبير الجثة لم يرَ مثله ويقال له محمود ابيض اللون ، كان قد بعثه اليه النجاشي ملك الحبشة ليهدم به الكعبة بأن يجعل السلاسل في الاركان وتوضع في عنق الفيل ثم يزجر ليلقى الحائط جملة واحدة .

اما المؤرخ ابن الاثير فيذكر انه كان مع جيش ابرهة ثلاثة عشر فيلاً وهي تتبع الفيل محمود ، وقيل ثمانية فقط وقيل اثنا عشر فيلاً [٥٠] .

أما عن موقف العرب من حملة ابرهة الحبشي عندما سمعت بمسيرته الى مكة لهدم الكعبة ، إذ تذكر المصادر التاريخية وكتب التفاسير والسير : ولما سمعت بذلك العرب فأعضموه وفظعوا به ورأوا جهاده حقاً عليهم [٥١]فخرج على ابرهة رجلٌ من أشراف اليمن وقيل من ملوكهم ، يدعى ذو نفر فدعا قومه من العرب لقتال ابرهة ومن معه فقاتلهم ، فهزمه ابرهة وأخذه أسيراً [٥٢] ثم تابع الاحباش المسير نحو مكة حتى اذا كانوا بارض خثعم خرج عليهم نُفَيل بن حبيب الخثعمي في قبائل خثعم ، شهران وناهس ومن تبعه من قبائل العرب فقاتلهم ثم هُزِم ووقع في الاسر ، فلما همَّ ابرهة بقتله ، طلب من ابرهة بعدم قتله وتعهد له بأن يكون دليلهُ في ارض العرب وبالسمع والطاعة هو وقومه ، فخلى سبيله ، فسارَ ابرهة حتى مر على الطائف فخرج اليه أهلها ثقيف فصانعوه خوفاً على بيت آلهتهم الذي يسمونه اللات ، فتجاوز عنهم ، وقيل انه أكرمهم ، وبعثوا معه رجل يدلّه على الطريق يقال له " ابو رغال " فنزلوا في "المغمس " ** حيث هلك ابو رغال في ذلك الموضع فرجمت العرب قبره بعد ذلك[٥٣] .

أما عن الاسباب والدوافع التي كانت وراء حملة ابرهة الى مكة لهدم بيتها الحرام والتي نستطيع ان نستنتجها من دراسة المصادر والروايات التي ذكرناها في هذا الدراسة ، وقد يكون اول هذه الاسباب والدوافع هو السبب أو الدافع الاقتصادي المرتبط بالدافع الديني ؛ إذ أن الاحباش في

احتلالهم لليمن كانوا يمنُّون انفسهم بأن يلعبوا دوراً كبيراً في التجارة لكنهم لم يستطيعوا أن يقوموا بذلك؛ لأن التجارة اصبح نقلها يتم على ايدي التجار المكيين الذين اصبحوا الوسطاء المسيطرين على قوافل التجارة الخارجية . واضف الى ذلك ما كان يكفله لهم وجود بيت الله الحرام في مكة والاشهر الحرم التي حرم الله القتال فيها فيأمن الناس فيها وينصرفوا فيها لقضاء حوائجهم وللحج والمتاجرة في مكة ، اذ تقام الاسواق في موسم الحج في منطقة مكة . ونحن في هذا الرأي مع الدكتور احمد ابراهيم الشريف [٥٤] فضلاً عن ذلك ما وفرته الايلاف التي عقدها ابناء عبد مناف لقريش مع القبائل والدول التي تقطن على طريق تجارتها لتأمين ذلك من أمنٍ وسلامة قوافلهم التجارية والمتاجرة مع هذه الدول ، وكل ذلك مكن مكة من السيطرة على تجارة شبه الجزيرة العربية الداخلية ، إما العامل أو الدافع الديني الذي تجسد بقيام الروم وحلفائهم الاحباش في أدخال ونشر الديانة المسيحية الى اليمن وشبه الجزيرة العربية بواسطة الرهبان اليعاقبة الذين جاءوا من الحبشة ووفود المبشرين النساطرة من الحيرة والشام ، إذ قام هؤلاء المبشرين والرهبان ببناء الكنائس في اليمن، لذلك دأب الاحباش منذُ احتلالهم اليمن على نشر المسيحية فيها ، لهذا نرى ان حاكم اليمن الحبشي ابرهة اراد ان ينافس مكة في مكانتها الدينية والتجارية لعله بذلك ينتزع منها سيطرتها على التجارة الداخلية لهذا نراه اقدم على بناء كنيسته القُلَّيْس في صنعاء والذي حرص على ان تكون غاية في الفخامة والروعة ليجلب اليها العرب للحج والمتاجرة [٥٥]و غاب عن بال ابرهة ان الغالبية العظمى من قبائل شبه الجزيرة العربية هي وثنية تعبد الاصنام والاوثان التي مقرها بيت الله الحرام في مكة وعن مدى تعلقهم وتمسكهم بعبادتها فهي تمثل دينهم ودين ابائهم واجدادهم ، وعن ما تتمتع به مكة وكعبتها من قدسية ومكانة عظيمة في نفوس العرب فهي قبلة حجهم وتجارتهم يفدونها في كل عام في الاشهر الحرم التي حرم الله فيها القتال ، والكعبة هي البيت الذي بناه ابيهم ابراهيم واسماعيل اللذان يُردُ العرب انسابهم اليهما ، فلما رأى العرب لا تتجه إلا الى البيت العتيق في مكة ، وأهل اليمن يدعون البيت الذي بنى ولايعتبرون حجهم مقبولاً الا بمكة [٥٦] فلم يجد الحاكم الحبشي على اليمن وسيلة الا القيام بالصدام المباشر مع مكة وذلك بأرسالهُ حملة عسكرية الى مكة لهدم بيتها الحرام فتسقط بذلك مكانتها وهيبتها الدينية في نفوس العرب ومن ثم السيطرة على هذه المحطة التجارية المهمة في طرق التجارة الدولية والتجارة الداخلية في شبه الجزيرة العربية .

– ولعل السبب أو الدافع السياسي هو الدافع الاساس الذي كان وراء حملة ابرهة الى مكة ، فطبيعة النزاع أو الصراع الذي نشب بين ابرهة ومكة هو صراع ذو طبيعة سياسية ولو ان الروايات الاخبارية لكتاب التاريخ والسير تحاول ان تُعطي انطباعاً واطاراً دينياً لهذا الصراع . فالروم وهم الطرف الخفي الذي حث ابرهة على السير الى مكة واحتلالها ليسهل بذلك اتصال

الحبشة عبر الطريق البري المار بمكة بحليفتها بيزنطة التي كانت تسيطر على بلاد الشام وبذلك يتم لهم السيطرة على الجزء الغربي من شبه الجزيرة العربية ، فيأمنون بذلك على مصالحهم الداخلية ويوجهون بذلك ضربة كبيرة لا عدائهم الساسانيين وحلفائهم في المنطقة ، ونحن بهذا الرأي مع الدكتور احمد الشريف والدكتور جواد علي [٥٧] ودليل ذلك ماذكرته لنا الروايات من ان احتلال الاحباش لليمن كان بأيعاز من قيصر الروم تحت ذريعة استنجاد رجل نصراني من مدينة نجران في اليمن بقيصر الروم على ملك حمير ذي نوّاس والمعروف بأبي زرعة إذ تذكر بعض الروايات أنه تهود وتسمى بيوسف والبعض الاخر يذكر انه كان وثنياً وما صنعه هو وجنده بأهل نجران التي كانت اكبر مراكز المسيحية في اليمن من قتل وتحريق فحفر لهم أخاديد لحرقهم فيها وحرق انجيلهم ليردهم عن دينهم ، وقد ورد ذكر هذه الحادثة في القرآن الكريم وكما جاء في قوله تعالى ﴿..... قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ ٤ النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ ٥ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ٦ وَهُمْ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ﴾ [٥٨]فكتب قيصر الروم الى ملك الحبشة يأمره بنصرة هذا الرجل وطلب ثأره لأن الاحباش هم أقرب الى اليمن من بلاد الروم، فأرسل نجاشي الحبشة جيشاً بقيادة ارياط وفي جنده ابرهة فأحتل اليمن واسقط حكم ذو نواس وخرب ثلث البلاد وقتل ثلث رجالهم وسبى ثلث نسائهم وابنائهم[٥٩].

– ولعل السبب او الدافع الاخر الذي يتعلق بالدافع الاقتصادي (التجارة)وطرق التجارة الدولية ضعف دور اليمن بسبب النزاعات الداخلية ومن ثم احتلال الاحباش لليمن وسقوط الدولة الحميرية ومن ثم الاحتلال الفارسي لليمن اضف الى ذلك الصراع والحروب المستمرة ما بين الفرس والروم الذي أدى الى غلق طريق التجارة الشرقي المار بالعراق والشام ، اما الطريق البحري عبر البحر الاحمر فقد خلا من سفن الروم فأصبح ميدان للقراصنة مع صعوبة الملاحة فيه بسبب الرياح الشمالية ولوجود الشعب المرجانية ، فلم يبقَ طريقاً مفتوحاً امام التجارة العالمية الا طريق تهامة والحجاز [٦٠]

–أما السبب الاخر والمباشر أو الذريعة لحملة ابرهة على مكة هو احداث الكناني في القُلّيْس وتدنيسها ببعض القاذورات .

ونعود الى مسيرة حملة اصحاب الفيل الى مكة فلما نزل ابرهة في (المغمس) ، بعث طائفة من جنده بقيادة رجل من الحبشة يقال له الاسود بن مقصود ويعتبر هؤلاء مقدمات وطلائع جيش ابرهة فساقوا اليه اموال اهل مكة من ابل وخيل ويقال أنها كانت ترعى بذي المجاز ، واصاب مائتي بعير لعبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف وهو يومئذ كبير قريش وسيدها [٦١].

وتذكر لنا الروايات : " ان قريش وكنانة وهذيل ومن كان بذلك الحرم هموا بقتال ابرهة ، لكنهم عرفوا أنهم لا طاقة لهم به ، فتركوا ذلك " [٦٢] ونحن مع ترجيح هذه الرواية فليس من

المعقول ان تغزى مكة وتنتهك حرمتها ويعتدى عليها وهي لاتُحّرك ساكناً ، وذلك مما يؤثر سلباً على مكانتها وهيبتها بين قبائل شبه الجزيرة العربية ، فمكة بلدة فيها رجال أكفاء متمرسين على القتال ولها تنظيماتها العسكرية منذُ عهد قصي بن كلاب ، ودليل ذلك ما اثبتوه من كفاءة وقيادة في معاركهم مع المسلمين بعد قيام دولة المدينة في يثرب ولربما أن أهل مكة لما استطلعوا وتبينوا ان جيش ابرهة يفوقهم كثيراً في العدة والعدد ، اضف الى ذلك ما سمعوه من اخبار عن فشل كل محاولات القبائل العربية للتصدي لهُ لذلك تركت قريش وحلفاؤها قتاله ، وتذكر لنا المصادر ان ابرهة قد بعث رجلاً من رجاله يُدعى حُنَاطة الحميريّ سأل عن سيد مكة وشريفها ، فذهبوا به الى عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف فأبلغه رسالة ابرهة : انه لم يأتِ لحرب وانما جاء لهدم البيت ، فإن لم تحاربه مكة فلا حاجة به لدماء اهلها ، فذهب معه عبد المطلب وبعض ابنائه وبعض من زعماء مكة لمقابلة ابرهة فلما رأى ابرهة عبد المطلب أجلهُ وأكرمَ وفادته وسأله عن حاجته ، فأجاب عبد المطلب أن يرد عليه أبله ، فتعجب من ذلك ابرهة وقال : أنا ربُ هذهِ الابل وللبيت ربٌ يمنعهُ[٦٣] .

وتورد بعض المصادر ، ان من الذين ذهبوا مع عبد المطلب لمقابلة ابرهة ، سيد بني بكر يعمر بن نفاثة بن عدي ، وسيد هذيل خويلد بن وائلة الهذلي ، فعرضوا على ابرهة ثلث أموال تهامة على ان يرجع عن هدم البيت فأبى عليهم ذلك [٦٤] .

ومن الملاحظ ان المصادر التي نقلت لنا هذه الرواية كانت قد نقلتها بتعبير يدعوللشك على انها مزاعم لبعض أهل العلم والله اعلم بها ، دون أن يذكروا اسنادها أو التعليق عليها . مما يدعونا الى الاعتقاد ان اصحاب هذه الرواية لربما اعتمدوا على المصدر نفسه في نقل الرواية أو انهم تناقلوها بعضهم عن بعض ولانعلم السبب الحقيقي وراء ذلك مع ان احداث هذه الرواية والرواية التي بعدها ممكن ان تكون كنتيجة لاحداث الرواية التي سبقتها ، فلربما أن قريش وحلفاءها لما هموا بقتال ابرهة وادركوا ان لاطاقة لهم بذلك فلربما اتخذوا طريق السلم والمفاوضة لعل ذلك يجدي نفعاً لحماية حرمة مكة وسلامتها وحفظ هيبتها في نفوس قبائل شبه الجزيرة العربية ، فلما فشلوا بذلك ، عاد عبد المطلب الى مكة ثم قام ومعه نفرٌ من قريش يدعون الله ويستنصرونه على ابرهة وجنده ، ثم امسك عبد المطلب بحلقة باب الكعبة وقال :

يارب لا أرجو لهم سواكا	يارب فامنع منهم حماكا
لاهم ان العَبْد يَمنع رحله	فامنع منهم حماكا
ان عدو البيت من عاداكا	امنعهم ان يخربوا فناكا [٦٥]

ثم نصح قريش بالخروج من مكة والتحصن في رؤوس الجبال والأودية خوفاً عليهم من معرة الجيش [٦٦] . ينتظرون ما ابرهة فاعل بمكة اذا دخلها لانهم لاطاقة لهم بقتاله وان للبيت رب

يحميه ، إذ كان من عادات اهل مكة اذا داهمتهم الاخطار اعتصموا برؤوس الجبال ، وذلك لافتقار مكة الى وجود الأطام والحصون ، ولأن من الخطأ مقاومة وقتال الاعداء في وادي مكة الضيق المحصور بين سلاسل الجبال ، ولكن يمكنهم الاشراف منها على الدروب والطرق وبذلك يصعب على من يطمع بمكة الوصول اليهم فيضطر الى التراجع عنهم ، ثم ان من الممكن مباغتة الجيش المهاجم وانزال الخسائر فيه ، فضلاً عن ذلك ان مكة حرم امن حرم الله تعالى القتال فيه ، لهذا نرى ان القادمين الاوائل من جرهم الى مكة قد سكنوا المناطق المرتفعة المحيطة بوادي مكة ولم يسكنوا البطاح المحيطة بالحرم [٦٧] .

وفي رواية لليعقوبي [٦٨] يذكر فيها : ان عبد المطلب قد بقى في الحرم وقد اقسم ان لايغادر مجلسه المعتاد في فناء الكعبة .

وتورد اكثر المصادر رواية تذكر فيها : فلما اصبح ابرهة تهيأ لدخول مكة ، وهيأ فيله محمود لهدم البيت ، ثم الانصراف الى اليمن ، فلما وجهوا الفيل محمود الى مكة لدخول الحرم ربض الى الارض ولزم موضعه لايتحرك فضربوه فتمرغ في الارض ثم ضربوا رأسه فأبى ان يتحرك ، فلم يزالوا على ذلك حتى ادموه فوجهوه راجعاً الى اليمن فقام يهرول ووجهوه الى الشام ثم المشرق ففعل مثل ذلك ووجهوه الى مكة مرة اخرى فأبى أن يتحرك ولم يزالوا على ذلك الامر حتى ادركهم الصبح اي عند شروق الشمس [٦٩] .

وتجمع المصادر التاريخية وكتب التفاسير والسير في نقل روايات متشابهة تذكر فيها : وعند الصباح أرسل الله تعالى على جند ابرهة (اصحاب الفيل) طيراً أبابيل : اي كثيرة زمراً زمراً متتابعة من البحر مع كل طائر منها ثلاثة احجار يحملها ، حجر في منقاره ، وحجران في رجليه أمثال الحمص والعدس ، لاتُصب منهم أحداً إلا هلك ، وليس كلهم اصابت . وخرجوا هاربين يبتدرون الطريق الذي منه جاءوا [٧٠] .

لكن الروايات اختلفت في ذكر صفات تلك الطيور ، فمنهم من قال هي مثل الطير لم تُرَ قبلهم ولم تُرَ بعدهم وقيل امثال الخطاطيف والبلسان ونحوهما وهما نوعان من الطير ، والخطاطيف جمع خطاف : وهو طائر اسود يقال له زوار الهند وتدعوه العامة عصفور الجنة والبلسان : يظن انها الزرازير ، وزعموا أن لها اكف كأكف الكلاب ولها انياب كأنياب السباع[٧١]

وقيل هي طيور سود بحرية ، وقيل خُضر مناقارها صُغر وقيل بيض [٧٢] .

ويذكر الطبري [٧٣] ان الموضع الذي كان فيه جيش ابرهة عندما أرسل الله الطير عليهم هو موضع قرب مكة يسمى بـ (نخلة اليمانية) .

لقد كان لحملة ابرهة على مكة اهمية كبيرة ، إذ تركت اثراً بليغاً في نفوس اهل مكة ، وقد ذكر الله تعالى هذه الحادثة في القران الكريم مذكراً قريش بهذه الحملة (اصحاب الفيل) وقد صور

الله تعالى ما كان من أرتدادهم وما حل بهم من نكبة قبل البعثة النبوية تصويراً بليغاً، وكما جاء في قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ١ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ ٢ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ٣ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ٤ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ٥﴾[٧٤]

والسجيل : هو الطين الشديد الصلب كالاجر، وهما كلمتان في الاصل فارسية جعلتهما العرب كلمة واحدة ، هماسنج ، أي الحجر والجل : الطين ، وقيل السجين هي النار ، وقد شبه سبحانه وتعالى اصحاب الفيل بعد سقوط الحجارة عليهم مثل القشر الخارجي الذي يكون على حب الحنطة، أو التبن الذي أكلته الدواب فراثته فيبسَ وتفرقت اجزاؤه [٧٥] .

وفي رواية للطبرسي[٧٦] قال فيها : أن ما أحد منهم سقطت عليه الحجارة الا أخذته الحكة، وكان لايحك الانسان منهم جلداً إلا تساقط لحمه .

وتذكر الروايات : ان اصحاب ابرهة لما اصابهم العذاب منهم من هلك سريعاً ومنهم من جعل يتساقط انمله انمله ومنهم ابرهة ، وقد فر من نجا منهم هارباً الى اليمن ومعهم ابرهة ، حتى قدموا به صنعاء ، فهلك بعد ذلك بقليل [٧٧] . وتذكر المصادر ان هناك علاقة بين ما أصاب جيش ابرهة بسبب هذه الحجارة وبين وباء الحصبة والجدري الذي عُرف لأول مرة في أرض العرب في عام الفيل [٧٨] .

ويذكر الطبرسي [٧٩] في تفسيره لسورة قريش وابن كثير [٨٠] في تفسيره لسورة الفيل أن من نعم الله تعالى على قريش بالاضافة الى رحلة الشتاء والصيف ، فيما صرف عنهم اصحاب الفيل الذين عزموا على هدم الكعبة ومحوا أثرها فأبادهم الله وخيب سعيهم وأضل عملهم ، حتى تعود قريش الى مكة ويقيموا بها ويتآلفوا ومن الملاحظ عند دراسة المصادر التي ذكرت حادثة الفيل وأوردت تفاصيلها من كتب التفاسير والتاريخ والسير وهو ذلك النشابه والتطابق احياناً في ذكر تلك الاحداث المهمة ولعل السبب في ذلك يعود الى استخدامهم الروايات نفسها ونستطيع ان نتبين ذلك من خلال تتبعنا لسلسة الرواة والمحدثين أو لربما ان اصحاب تلك المصادر قد تناقلوها عن بعضهم البعض لهذا قليلاً ما نرى ان بعض المصادر تنفرد في ذكر رواية مختلفة في ذكر تلك الاحداث ، وقد جاءت تلك الروايات كتفصيل وتفسير وتوضيح ما اجمله القران الكريم .

أما عن اهمية حملة ابرهة (اصحاب الفيل) واهم نتائجها :-

لحملة ابرهة اهمية كبيرة (اصحاب الفيل) وذلك لما تركته من أثر بليغ في نفوس اهل مكة ، ولذلك جاء ذكرها في القرآن الكريم تذكيراً منه تعالى بنعمه على قريش .

– لقد انتهت حملة ابرهة بالفشل الذريع فعاد منهزماً هو ومن بقي معه من جنده هاربين الى اليمن وهلك بعد وصولهم الى اليمن فمُلك بعده أبنه يكسوم ثم بعده اخوه مسروق بن ابرهة في حكم اليمن وقد أتبع الاثنان سياسة البطش والظلم واستذلال اهل اليمن مما ادى الى نفور اهل اليمن من

حكم الاحباش ، فتطلعوا للتحرر فككان ذلك على يد سيف بن ذي يزن الحميري بعد ان استعان بالفرس لطرد الاحباش من اليمن [٨١] .

–أنَ فشل حملة ابرهة يعد من العوامل المهمة التي وطدت لمكة مركزها الديني . وزاد من هيبتها ومكانتها ودورها الفاعل بين قبائل شبه الجزيرة العربية الذي بدوره عزز مكانتها التجارية ، إذ يذكر ابن هشام [٨٢] في رواية له : فلما رد الله الحبشة عن مكة ، وأصابهم بما اصابهم به من النقمة ، اعظمت العرب قريشاً وقالوا : هم أهل الله ، قاتل الله عنهم وكفاهم الله مؤنة عدوّهم وقالوا في ذلك اشعاراً .

–ولاهمية حملة (اصحاب الفيل) واثرها الكبير في نفوس اهل مكة بصفة خاصة والعرب بصفة عامة ، اصبحت هذه الحادثة مبدءاً للتاريخ يؤرّخ به العرب احداثهم المهمة ، وسمي ذلك العام بعام الفيل (٥٧٠م) الموافق لليوم الاول من محرم سنة اثنتين وثمانين وثمانمائة سنة من تاريخ ذي القرنين وقيل في ثلاث عشرة ليلة بقيت من محرم وقيل في النصف من محرم . وتذكر الروايات ان رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) ولد لاثني عشر ليلة مضت من ربيع الاول من هذا العام ، ويذكر ان ابناء اسماعيل وابراهيم كانوا يؤرخون من بناء الكعبة فلم يزلوا على ذلك حتى كانت حادثة الفيل فأرخوا من عام الفيل وكان سائر العرب يؤرخون بأيامهم المذكورة . وكان النصارى يؤرخون بعهد الاسكندر ذي القرنين وأما الفرس فأنهم كانوا يؤرخون بملوكهم [٨٣].

–وتذكر الروايات : انه لما هلك من هلك من اصحاب الفيل وفر من فر منهم نزلت قريش من الجبال التي كانت تتحرزفيها ودخلت معسكر أبرهة وجنده وغنمت ما فيه من متاع وأموال وذهب وجواهر ثمينة [٨٤] .

وعلى الرغم من هذا العمل العدواني من جانب الحبشة ، إلا ان العلاقات ظلت قائمة بين مكة والحبشة ، لحاجة كل منهما الى الاخرى ولم تشر المصادر ان الحبشة قد فكرت بتكرار هذا العمل العدواني على مكة ولاسيما بعد ان تغيرت الظروف بطردها من اليمن ، ولأن قريشاً اطمأنت لمركزها التجاري بعد تراجع الاحباش عنها وبعد خروجهم من شبه الجزيرة العربية كلها بعد هزيمتهم امام الفرس ولم يبقَ امام الحبشة الا هذا الوسيط العربي الذي يقوم على هذه التجارة ، وفي ايام البعثة النبوية كانت علاقة مكة مع الحبشة علاقة وطيدة ، وكان تجار مكة على صلة دائمة وعلاقات طيبة مع هذه البلاد ومعرفة بأحوالها ، الامر الذي جعل النبي محمد(صلى الله عليه واله وسلم) يشير الى اصحابه بالهجرة الى الحبشة عندما حاول زعماء قريش فتنة المسلمين ، فوجدوا في الحبشة ملجأً وحماية وحسن استقبال ورعاية .

الخاتمة:

يسلط هذا البحث الضوء على حقائق عدة ، وفي مقدمتها ماتميزت به مكة من مكانة واهمية كبيرة بين مدن الحجاز ، إذ تعد مكة أولى مدن الحجاز وعاصمته لاحتضانها بيت الله الحرام فمن الله عليها بنعم لم تتوافر لمثيلاتها من المدن العربية من قدسية وآمن وسلام ومكانة متميزة في نفوس العرب ، وقد حبى الله مكة بنعمة أخرى الا وهي الموقع الجغرافي المتميز المهم في وسط طريق القوافل المحاذي للبحر الاحمر الذي يربط اليمن بكل من الشام والعراق وهذا الطريق كان أحد طرق التجارة الدولية المهمة التي تمر عبرها تجارة الشرق القادمة من الصين والهند نحو البحر الابيض المتوسط وبالعكس ، وبذلك غدت مكة محطة مهمة لاصحاب القوافل التجارية المارة عبر هذا الطريق تقوم بتقديم الخدمات لهذه القوافل وتتعاطى التجارة معهم ، وكان لتجار مكة قوافلهم التجارية الخاصة بهم يتعاملون بها بصفة الوسيط في عمليات التبادل التجاري في السلع المحلية وتلك القادمة من الصين والهند والآتية من افريقيا الى اليمن ثم الشام .

ان من اهم العوامل التي ساعدت أهل مكة على اقامة علاقات تجارية مع القبائل العربية والاسواق التجارية في اطراف شبه الجزيرة العربية والدول المجاورة ، هو استثمارهم لمركز مكة الديني بين العرب . حيث بيت الله الحرام الذي يفد اليه العرب من مختلف انحاء الجزيرة العربية للحج والمتاجرة خلال الاشهر الحرم التي يحرم فيها القتال والتي تقام فيها الاسواق في المناطق المحيطة بمكة .

لقد كانت الحبشة من الدول التي ارتبطت مع مكة بعلاقات تجارية طيبة بفضل الايلاف الذي عقده عبد شمس بن عبد مناف مع نجاشي الحبشة والذي بفضله اصبحت الحبشة متجراً لقريش .

ومن الملاحظ ان تجارة قريش قد ازدهرت في القرن السادس الميلادي ، وكان من ابرز عوامل ازدهارها تدهور الاوضاع في اليمن والاحتلال الحبشي الثاني لليمن وتطور الصراع بين الامبراطورية الساسانية والبيزنطية مما اتاح الفرصة امام تجار مكة لتنمية نشاطاتهم التجارية .

لقد اصبح الاحباش منذ احتلالهم لليمن اكثر قرباً وتماساً في مصالحهم وعلاقاتهم مع شبه الجزيرة العربية ، ولكنهم مع ذلك فشلوا في أن يلعبوا دوراً كبيراً في التجارة التي اصبح نقلها يتم بواسطة التجار المكيين الذين اصبحوا الوسطاء المسيطرين على قوافل التجارة الخارجية ومن ثم قوافل التجارة الداخلية لشبه الجزيرة العربية لهذا فكر حاكم اليمن الحبشي ابرهة ان ينافس مكة في هذه المكانة لعله يستطيع ان ينتزع منها تجارتها الداخلية ، فأقام في صنعاء كنيسة اسماها القُلَّيْس، حرص واجتهد على ان تكون غاية الفخامة والروعة ، ليجلب اليها العرب للحج والمتاجرة ، لكنه فشل بذلك فشلاً ذريعاً لان الغالبية العظمى لقبائل شبه الجزيرة العربية كانوا وثنيين وكانت مكة

مأوى اصنام العرب دينهم ودين أبائهم وأجدادهم ، فلما رأى ان العرب لايتجهون بحجهم الا الى البيت العتيق ، واهل اليمن يدعون البيت الذي بناه ابرهة ولايعتبرون حجهم مقبولاً الا بمكة ، ثم كانت حادثة الكناني الذي أحدث في القُلَّيْس ودنسها ببعض القاذورات فلم يبقَ امام حاكم الاحباش في اليمن وسيلة الا غزو الاحباش لملكه وهدم بيتها ولو أنّ الروايات الاخبارية لكتاب التاريخ والسير تحاول ان تضع الصراع بين مكة والاحباش بقالب ديني ، الا ان طبيعة الصراع بين الطرفين هو سياسي وان الروم هم الطرق الخفي الذي حث ابرهة على السير الى مكة واحتلالها ليسهل بذلك اتصاله بالحبشة عبر الطريق البري المار بمكة ، ولتوجّه بذلك ضربة كبيرة لاعدائهم الساسانيين .

فتقدم ابرهة على رأس جيش كبير من الاحباش ومن تبعهم من عرب اليمن يتقدمهم فيل كبير ضخم الجثة اسمه محمود الى مكة لهدم بيتها الحرام لكن الله تعالى افشل هذه الحملة وأذل ابرهة وجنده وأخزاهم وانزل عليهم عذابه ونقمته وأرسل عليهم طيراً كثر من البحر ترميهم بحجارة من سجيل فيها هلاكهم فهلك اكثر من في هذه الحملة وفر هارباً من بقي منهم الى اليمن ومعهم ابرهة وقد اصيب ببدنه وهلك بعد وصولهم اليمن ، وقد ذكر الله تعالى هذه الحادثة في القرآن الكريم وصور ما اصاب اصحاب الفيل من نكبة وبلاء تصويراً بليغاً في سورة افردها تعالى لذلك سميت بـ (سورة الفيل) لتكون عبرة وموعظة للناس ، ونعمة يمن بها الله تعالى على مكة واهلها . وقد كان لهذه الحملة وفشلها نتائج خطيرة ومهمة انعكست على مكة بصفة خاصة وقبائل شبه الجزيرة العربية بصفة عامة ، فقد اعز الله مكة وحمى بيتها الحرام وارتفعت بذلك مكانة قريش ودورها بين قبائل شبه الجزيرة العربية ، وتعزز دورها التجاري على الصعيد الداخلي والخارجي في شبه الجزيرة العربية ، واصبح تاريخ هذه الحملة (٥٧٠م) أساساً للتاريخ يُؤرخ به العرب احداثهم المهمة وسمي هذا العام بعام الفيل .

ومن الملاحظ عند دراسة المصادر التي ذكرت حادثة الفيل وأوردت تفاصيلها من كتب التفاسير والتأريخ والسير، هو ذلك التشابه والتطابق أحياناً في ذكر تلك الاحداث المهمة ، ولعل السبب في ذلك يعود الى استخدامهم الروايات نفسها، ونستطيع ان نتبين ذلك من خلال تتبعنا لسلسة الرواة والمحدثين، أو لربما ان اصحاب تلك المصادر قد تناقلوها عن بعضهم البعض ، لهذا قليلاً ما نرى بعض المصادر تنفرد في ذكر رواية مختلفة عن تلك الاحداث وقد جاءت تلك الروايات لتفصيل وتوضيح وتفسير ما اجمله القرآن الكريم .

الهوامش والمصادر :

١- سورة ابراهيم ، الاية : ٣٧ .

٢- سورة البقرة ، الاية : ١٢٧ .

٣- الشريف ، احمد ابراهيم ، دور الحجاز في الحياة السياسية العامة في القرن الاول والثاني للهجرة ، ط١ ، دار الفكر العربي ،(ألقاهرة– ١٩٦٥)، ص١٣٧ .

٤- ابن هشام ، عبد الملك بن هشام بن ايوب الحميري (ت٢١٨هـ) السيرة النبوية ، تحقيق : مصطفى السقاو وآخرون ، مطبعة مصطفى البابي (مصر – ١٩٥٥ م) ، ١/ ١٩–٢٠ ، الازرقي ، محمد بن عبد الله بن احمد (ت ٢٤٤هـ) ، اخبار مكة ، تحقيق : رشدي صالح ، ط١ ، مكتبة الثقافة (مكة – ٢٠٠٢م) ، ١٣٤/١ ؛ الفاسي ، تقي الدين محمد بن احمد بن علي المالكي ، (ت ٨٣٢هـ) ، شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام ، دار احياء الكتب ألعربية (مكة ١٩٥٦ م)

٥- الأزرقي ، اخبار مكة ، ١/ ٨٨ ، ٣٥٣/١ ؛ الفاكهي ، محمد بن اسحاق بن العباس (ت٢٧٥هـ) اخبار مكة ، تحقيق : عبد الملك الدهش ، ط٢ ، (بيروت – ١٤١٤ هـ)، ١٣٧/٥ ، الحنفي ، قطب الدين محمد بن احمد (ت٩٨٨هـ) الاعلام بالاعلام بيت الله الحرام ، ط٢، مطبعة السعادة (القاهرة – ١٣٧٠هـ) ، ص٤٨.

٦- ابن حزم ، علي بن احمد بن سعيد الاندلسي (ت ٤٥٦هـ) ، جمهرة انساب العرب ، تحقيق عبد السلام هارون ، دار المعارف (مصر – ١٩٦٢م) ، ص٨.

٧- ابن هشام، السيرة ، ١٣/١ ؛ الفاكهي ، اخبار مكة ، ٩/٢ ؛ ابن الجوزي ، عبد الرحمن علي بن محمد (ت ٥٩٧هـ) ، المنتظم في تاريخ الملوك والامم ، تحقيق : محمد عبد القادر عطا ، ط٢ ، دار الكتب العلمية ، (بيروت ١٩٩٥م) ، ٢٦٧/١ ؛ الجميلي، خضير عباس فياض ، دور قريش قبل الاسلام ، رسالة ماجستير غير منشورة مقدمة الى جامعة الكوفة – كلية الاداب ، ٢٠٠٠ م ، ص٢٣–٢٤ ح؛ العبيدي ، شذى عبد الصاحب ، مجتمع مكة من خلال القران الكريم – دراسة تاريخية ، اطروحة دكتوراه غير منشورة مقدمة الى جامعة بغداد ، كلية التربية ، (٢٠١١م) ، ص٨٧.

٨- محمد بن حبيب بن امية البغدادي (ت٢٤٥هـ) المنمق في أخبار قريش ، صححه وعلق عليه ، خورشيد احمد فاروق ، ط١ ، دائرة المعارف (القاهرة –١٩٦٤) ص (٣١– ٣٢) ؛ الملاح ، هاشم يحيى ، الوسيط في السيرة النبوية والخلافة الراشدة ، مطبعة جامعة الموصل ، (الموصل ١٩٩١م) ، ص٢٣.

٩- اليعقوبي ، احمد بن ابي يعقوب بن جعفر (ت٢٨٤هـ) ، تاريخ اليعقوبي ، دار صادر (بيروت ، د.ت)، ١/ ٢٤٢ – ٢٤٣ ؛ ابن كثير ، ابو الفداء اسماعيل بن عمرو الدمشقي (ت ٧٧٤هـ) ، تفسير القران العظيم ، مؤسسة المختار (القاهرة – ٢٠٠٢م) ، ٤/ ٥٥٨؛ الجميلي، رشيد عبد الله ، تاريخ العر ب قبل الاسلام ، ط١ (بغداد – ٢٠٠١م) ، ص١٦٥ .

١٠- ابن كثير ، تفسير ، ٤/ ٥٥٨ ؛ علي ، جواد ، المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام ، ط١، دار العلم للملايين ، (بيروت _ ١٩٧٦ م) ٦٨/٤–٧١ ،٦٨–٧١ .

١١- سورة قريش ، الاية : ١–٤.

١٢- ابن حبيب ، المنمق ، ص٣٥ ؛ الشريف ، احمد ابراهيم ، مكة والمدينة في الجاهلية وعهد الرسول ، دار الفكر العربي (القاهرة– ١٩٦٥) ، ص ١٧٣ ؛ الملاح ،الوسيط ، ص٢٧ ؛ الجميلي ، تاريخ العرب ، ص٢٩ .

١٣- الملاح ، الوسيط ، ص٢٧ ؛ الجميلي ، تاريخ العرب ، ص٢٩، ص١٦٥ .

١٤- السيرة ٤٦/١ ؛ انظر ايضاً : ابن الاثير ، عز الدين علي بن ابي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم عبد الواحد الشيباني (ت ٦٣٠هـ) ، الكامل في التاريخ ، تحقيق : ابي الفداء عبد الله القاضي ، ط٢ ، دار الكتب العلمية (بيروت– ١٩٩٥) ، ١/ ٣٤٢ ؛ ابن كثير ، أبو الفداء اسماعيل بن عمرو الدمشقي ، (ت ٧٧٤هـ) ، البداية والنهاية ، مطبعة السعادة ، (مصر – ١٩٣٢ م) ، ١٧٠/٢ .

١٥- ابن هشام ، السيرة ، ٤٩/١ ؛ الازرقي، اخبار مكة ، ١٤٣/١؛ اليعقوبي ، تاريخ ، ١٦٥/٢؛ ابن الجوزي ، المنتظم ، ٢/ ١٢٩ ، ٢/ ٢٧٦ ؛ الشريف ، مكة والمدينة ، ص١٧٤ .

١٦- الاسد ، ناصر الدين ، القيان والغناء في العصر الجاهلي ، دار صادر ، (بيروت – ١٩٦٠م) ، ص٣٥ .
١٧- تاريخ، ١٩٣/١.
١٨- ابن حبيب ، المنمق ، ص٣٥ ، الطبري ، محمد بن جرير ، (ت٣١٠هـ) تاريخ الامم والملوك ، ط١ ، دار الكتب العلمية ، (بيروت –١٤٠٧هـ) ، ١/ ٥٠٤ ؛ ابن الجوزي المنتظم ، ٢١٢/٢ ؛ ابن الاثير ، الكامل في التاريخ ، ١/ ٥٥٣ .
١٩- الطبري ، تاريخ ، ١/ ٥٤٦ ؛ ابن عبد البر ، يوسف بن عبد الله بن محمد النمري (ت٥٤٦٣ هـ) ، الدرر في اختصار المغازي والسير ، تحقيق : شوقي ضيف ، ط٢ ، دار المعارف ، (القاهرة –١٤٠٣هـ) ، ١/ ٥٣–٥٤.
٢٠- ابن سعد ، محمد بن منيع البصري (ت ٢٣٠هـ) ، الطبقات الكبرى ، دار صادر (بيروت ١٩٦٠م) ٥١/١، ٨٧/١ ؛ ابن الاثير ، الكامل في التاريخ ، ١/ ٥٥٢ .
٢١- امين ، احمد، فجر الاسلام ، ط٣ ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، (مصر – ١٩٣٥م)، ١٦/١ ؛ الافغاني ، سعيد، اسواق العرب في الجاهلية والاسلام ، ط٢ ، دار الفكر (دمشق –١٩٦٠) ، ص٢٥ .
٢٢- الازرقي ، اخبار مكة ، ١/ ١٥٦ ؛ جواد علي ، المفصل ، ٤/ ١١٥ .
٢٣- احمد امين ، فجر الاسلام ، ١/ ١٦ ؛ الشريف ، مكة والمدينة ، ص ١٧٥ ؛ الجميلي تاريخ العرب ، ص١٦٤.
٢٤- الاسد القيان ، ص٣٨–٣٩ ؛ الافغاني ، اسواق العرب ، ص٢٧٨ ؛ الشريف ، مكة والمدينة ، ص١٧٥ .
٢٥- ابن هشام ، السيرة ، ٣٣٤/١ .
٢٦- اليعقوبي ، تاريخ ، ١/ ٢٤٣ ؛ حتى ، فليب ، وآخرون ، تاريخ العرب المطول قبل الاسلام ، ط٤ ، (بيروت ١٩٦٥) ، ٨١/١ الجميلي ، تاريخ العرب ، ص٢٠٨ .
٢٧- ابن اسحاق ، محمد بن اسحاق بن يسار المطلبي ، (ت١٥١هـ) ، سيرة ابن اسحاق ، تحقيق : محمد حميد الله ، معهد الدراسات للابحاث والتعريب ، (د.م د.ت) ، ١٥٤/٢ ؛ ابن هشام ، السيرة ، ٣٣٤/١ ؛ الطبري، تاريخ ، ١/ ٥٤٦ ؛ ابن عبد البر ، الدرر ، ٥٣/١ .
٢٨- هيكل ، محمد حسين ، حياة محمد ، ط٤ ، مطبعة مصر (مصر١٩٤٧ م) ، ص١٠١ ؛ معروف ، ناجي ، أصالة الحضارة العربية ، ط١ مطبعة الزمان ، (بغداد– ١٩٦٩م) ص١٠٩–١١٠ ؛ الشريف ، مكة والمدينة ، ص١٨٣ .
٢٩- ابن هشام ، السيرة ، ٣٧/١ – ٤٢ ؛ الطبري ، تاريخ ،٤٣٩/١ ؛ ابن الجوزي ، المنتظم ، ٢/ ١١٨ .
٣٠- السيرة ، ٣٥/١ .
٣١- اخبار مكة ، ١/ ١٣٦ .
٣٢- ابن اسحاق ، السيرة ، ٣٥/١–٣٦ ، الطبرسي ، الفضل بن الحسن ، (ت٥٤٨هـ) مجمع البيان في تفسير القران ، تحقيق : لجنة من العلماء والمحققين المختصين وقدم له الامام السيد محسن الامين العاملي ، ط١ ، مؤسسة الاعلمي ، (بيروت –١٩٩٥) ١٠/ ٤٤٣ ، ويذكر الطبرسي في روايته نقلا عن رواية محمد بن يسار أي ابن اسحاق ، انظر : نفس الصفحة .
٣٣- ابن هشام ، السيرة ، ١/ ٣٧ –٤٢ ؛ الازرقي ، اخبار مكة ١٣٥/١–١٣٦ ؛ الطبري ، تاريخ ٤٣٩/١ .
٣٤- زيدان ، العرب قبل الاسلام ، ص١٥١ ؛ الجميلي ، تاريخ العرب ، ص٧٢ .
٣٥- الفراهيدي ، الخليل بن احمد (ت١٧٥ هـ)، كتاب العين ، تحقيق : د. مهدي المخزومي ، لسان العرب ، ط١ ، دار صادر ،(بيروت د.ت)، ١٨٠/٦ – ١٨٣ .
٣٦- الحموي ، شهاب الدين ياقوت بن عبد الله الرومي ، (ت٦٢٦هـ) ، معجم البلدان ، دار الفكر ، (بيروت – د.ت) ، ٣/ ٤٢٧، ٤/ ٣٩٤ ؛ الحلبي ، علي بن ابراهيم بن احمد ، (ت١٠٤٤هـ) انساب العيون في سيرة الامين المأمون ، المسماة السيرة الحلبية ، دار المعرفة (بيروت – ١٤٠٠ هـ) ، ٩٦/١ .
٣٧- العرب قبل الاسلام ، ص١٥١ .

٣٨- ابن هشام ، السيرة ، ٤٣/١ ؛ الازرقي ، اخبار مكة ، ١٣٨/١ ؛ الطبري ، تاريخ ٤٣٩/١ السهيلي ، عبد الرحمن بن عبد الله ، (ت٥٨١هـ) ، الروض الأُنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام ، تحقيق : مجدي منصور ، ط١ ، دار الكتب العلمية ، (بيروت ، ١٩٩٤) ، ١١١/١–١١٢ ؛ الحموي ، معجم البلدان ، ٣٩٤/٤ ؛ الحلبي ، السيرة الحلبية ، ١/ ١١٢ .

٣٩- اخبار مكة ، ١٣٨ – ١٤٠ .

٤٠- ابن هشام ، السيرة ، ٤٣/١ ؛ الازرقي ، اخبار مكة ، ١/ ١٤٠ ؛ ابن الجوزي ، المنتظم ١٢١/٢–١٢٢ ؛ الحموي ، معجم البلدان ، ٤/ ٣٩٤ .

٤١- الازراقي ، اخبار مكة ، ١/ ٤٣٩ ؛ الطبري ، تاريخ ، ٤٣٩/١ ؛ ابن الاثير ، الكامل في التاريخ، ٣٤٢/١ ؛ ابن كثير ، البداية والنهاية ، ١٧٠/٢ .

٤٢- السيرة ، ٤٣/١ .

٤٣- ابن اسحاق ، السيرة ٣٧/١؛ السهيلي ، الروض الأُنف ، ١١١/١ ، الحلبي، السيرة الحلبية ، ٩٦/١ .

٤٤- الشريف ، مكة والمدينة ، ص١٧٥ .

٤٥- السيرة ، ٤٣/١ ؛ وانظر ايضاً : الازرافي ، اخبار مكة ، ١٤١/١ ؛ الطبري ، تاريخ ، ٣٤٩/١ .

* النسأة : وهي تسمية مشتقة من النسيء، والنسأة : هم الذين كانوا ينسئون الاشهر الحرام ، وهو ما ابتدعه اهل الشرك في تأخير حرمة شهر الى شهر اخر فجعلوا بذلك الحلال حراماً والحرام حلالاً . ولما جاء الاسلام نهاهم عن ذلك وكما في قوله ﴿ إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُواْ يُحِلِّونَهُ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُ عَامًا لِّيُوَاطِؤُواْ عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللّهُ فَيُحِلُّواْ مَا حَرَّمَ اللّهُ ....﴾التوبة ،(من الاية:٣٧) انظر في ذلك : ابن هشام ، السيرة ، ٤٣/١ ؛ ابن منظور ، لسان العرب ، ١٦١/١–١٦٧ .

٤٦- ابن اسحاق ، السيرة ، ٣٨/١ ؛ ابن هشام ، السيرة ، ١/٤٥؛ الطبري ، تاريخ ، ٤٣٩/١ ؛ الطبري ، تفسير ، ٣٠٠/٣٠ ؛ الطبرسي ، تفسير ، ١٠/ ٤٤٣ ؛ السهيلي ، الروض الانف ، ١١٣/١ –١١٦ ؛ ابن الاثير ، الكامل في التاريخ ٣٤٢/١، ابن كثير ، تفسير ، ٥٥٤/٤ .

٤٧- ابن اسحاق ، السيرة ، ٣٨/١ ، الطبري ، تاريخ ، ٤٣٩/١ ؛ الطبري ، تفسير ، ٣٠٠/٣٠ ، الطبرسي ، تفسير ، ٤٤٣/١ .

٤٨- تفسير ، ٥٥٤/٤ ، الحلبي ، السيرة الحلبية ، ٩٧/١ .

٤٩- الكامل في التاريخ ، ٣٤٢/١ ، الفاسي ، شفاء الغرام ، ١٨٩/١ ، الطوسي ، محمد بن الحسن ، (ت٤٦٠هـ) ، التبيان في تفسير القرآن ، تحقيق : احمد حبيب قصير العاملي ، ط١ ، مكتب الاعلام الاسلامي ، (د.ن _ ١٤٠٩ هـ) ، ٤١٠/١٠

٥٠- ابن هاشم ، السيرة ، ٤٥/١ ؛ الازرقي ، اخبار مكة ، ١٤١/١ ؛ الطبري ، تفسير ، ٣٠ / ٣٠٠ ، ابن كثير ،البداية والنهاية ، ١٧١/٢ ؛ الحلبي ، لسيرة ، ٩٧/١ .

٥١- ابن هشام ، السيرة ، ٤٥/١ ؛ الازرقي ، اخبار مكة ، ١/ ١٤١ ؛ الطبري ، تفسير ٣٠٠/٣٠ ؛ ابن الجوزي ، المنتظم ، ١٢٣/١ ؛ ابن كثير تفسير ٥٥٤/٤ .

٥٢- الازرقي ، اخبار مكة ، ١٤٢/١ ؛ ابن هشام ، السيرة ، ٤٦/١ ؛ الطبري ، تاريخ ، ٤٤٠/١ –٤٤١ .

** المغمس : هو بالضم ثم الفتح وتشديد الميم وفتحها ، هو اسم مفعول مشتق من الفعل غمسَ أي غيب ، والمغمس بكسر الاخرة اصح ما قيل لكنه يروي بالفتح ، وهو اسم مشتق من الغميس : هو النبات الاخضر الذي ينبت بالخريف من تحت اليابس ، ويقال غمست الشيء إذا غطيته وهو المكان المستور بالهضاب او العضاة ، وهو على بعد ثلثي فرسخ من مكة ، وقيل على بعد ست اميال وقيل ايضاً انه موضع ما بين الجعرانة والشرائع في طريق السيل الى الطائف . انظر : ابن اسحاق ، السيرة ، ٣٨/١ ، ابن هشام السيرة ، هامش صفحة ، ٤٨/١ ؛ الحموي ، معجم البلدان، ١٦١/٥–١٦٢

٥٣- الطبري ، تريخ ، ٤٤٠/١ –٤٤١ ، المسعودي ، علي بن الحسين بن علي (ت٣٤٦هـ) ، مروج الذهب ومعادن الجوهر ، ط١ ، (القاهرة – ١٩٥٨) ، ٧٧/٢–٧٨ ابن كثير ، تفسير ، ٥٥٤/٤

٥٤- مكة والمدينة ، ص١٧٥ ؛ الجميلي ، تاريخ العرب ؛ ص٦٧، ص٧٢ .

٥٥- الشريف ، مكة والمدينة ، ص١٧٥ ، المصدر نفسه ، ص٧٢ .

٥٦- المصدر نفسه ، ص١٧٥ ؛ هيكل، حياة محمد ، ص١٠١

٥٧- مكة والمدينة ، ص١٧٥-١٧٦؛ المفصل ،١١٤/٤.

٥٨- سورة البروج ، الاية : ٤-٧ .

٥٩- ابن هشام ، السيرة ، ٣٥/١-٣٧ ؛ ابن الجوزي ، المنتظم ، ١١٩/٢ – ١٢٠ ؛ ابن الاثير ، الكامل في التاريخ ، ٣٣٤/١ ؛ الجميلي ، تاريخ العرب ، ص٧٣ .

٦٠- الشريف مكة والمدينة ، ص١٧١-١٧٢ ؛ الملاح ، الوسيط ، ص٢٢.

٦١- ابن هاشم ، السيرة ، ٤٨/١ ؛ الازرقي ، اخبار مكة (١٤٣/١؛ الطبري ، تاريخ ، ٤٤١/١ ؛ الحلبي ، السيرة الحلبية ، ٩٧/١ .

٦٢- ابن هشام ، السيرة ، ٤٨/١ ؛ الازرقي ، اخبار مكة ، ١٤٣/١ ؛ الطبري ، تاريخ ، ٤٤١/١ الطبري ، تفسير ، تفسير ٣٠ /٣٠١ ؛ الطبرسي، تفسير ، ٤٤٣/١٠-٤٤٤ ، الحلبي ، السيرة الحلبية ٩٧/١ .

٦٣- ابن اسحاق ، السيرة ، ٣٩/١ ؛ ابن هشام ، السيرة ، ٤٨/١ ؛ الطبري ، تاريخ ، ٤٤١/١ ؛ الطبري ، تفسير ، ٣٠١/٣٠ ؛ المسعودي ، مروج الذهب ، ٢٠٠/٢-٢٠١.

٦٤- ابن هشام ، السيرة ، ٥٠/١ ؛ الازرقي ، اخبار مكة ، ١٤٥/١ ؛ الطبري ، تاريخ ،٤٤٢/١ ابن كثير ، تفسير ٥٥٥/٤، الفاسي ، شفاء الغرام، ١٨٩/١ .

٦٥- ابن هشام ، السيرة ، ٥١/١ ؛ الطبري ، تاريخ ، ٤٤٢/١ ؛ ابن الاثير ، الكامل في التاريخ ، ٣٤٣/١؛ ابن كثير ، تفسير ، ٥٥٥/٤ .

٦٦- ابن اسحاق ، السيرة ، ٣٩/١ ، ابن هشام ، السيرة ، ٥٠/١ ، الازرقي ، اخبار مكة ، ١٤٥/١؛ اليعقوبي ، تاريخ ، ٢٥٢/١ ؛ ابن كثير تفسير ٥٥٥/٤.

٦٧- الازرقي ، اخبار مكة ، ٨٠/١ ؛ الحموي ، معجم لبلدان ، ١٨٥/٥ ؛ الكلاعي ، سلمان بن موسى ، (ت٦٣٤هـ) ، الاكتفاء بماتضمنه من مغازي رسول الله والثلاث الخلفاء ، تحقيق كمال الدين عز الدين، ط١ ،(بيروت –١٩٩٧م) ، ٤٨/١؛ جواد علي ،المفصل ، ٨١/٤ .

٦٨- تاريخ ،١١/٢.

٦٩- ابن اسحاق ، سيرة ، ٤٠/١ ؛ابن هشام السيرة ، ٥٢/١ ؛ الازراقي ، اخبار مكة ، ١٤٦/١ ؛ الطبري ، تاريخ ، ٤٤٢/١ ؛ الطبري ، تفسير ، ٣٠٤/٣٠ ؛ الطبرسي ، تفسير ٤٤٤/١ ؛ السهيلي ، الروض الانف ، ١٢٦/١ ؛ ابن الاثير ، الكامل في التاريخ ،٣٣٤/١، ابن كثير ، البداية والنهاية ، ١٧٣/٢ .

٧٠- مجاهد ، ابو الحجاج مجاهد بن جبر المخزومي ، (ت١٠٤هـ) ، تفسير مجاهد ، تحقيق : عبد الرحمن الطاهر ، مجمع البحوث الاسلامية ، (اسلام اباد د.ت) ، ٧٨٢/٢ ؛ الازرقي ، اخبار مكة ، ١٤٦/١ ؛ الطبري ، التاريخ ، ٤٤٤/١؛ الطبري تفسير ، ٣٠٤/٣٠ ؛ الطوسي ، تفسير ، ٤١٠/١٠، ابن الاثير ، الكامل في التاريخ ، ٣٤٤/١ ؛ الحلبي ألسيرة ، ٩٩/١ .

٧١- مجاهد ، تفسير ،٧٨٤/٢ ؛ ابن هشام ، السيرة ، ٥٣/١ ؛ وانظر ايضاً : هامش الصفحة، الازرقي ، اخبار مكة ، ١٤٦/١ الطبرسي ، تفسير ، ٤٤٥/١٠ ، ابن الاثير الكامل في التاريخ ،٣٤٤/١ ، ابن كثير البداية والنهاية ، ١٧٣/٢ ، الحلبي ، السيرة الحلبية ، ٩٩/١ .

٧٢- الطوسي ، تفسير ، ٤١٠/١٠ ؛ الطبرسي ، تفسيره ، ٤٤٧/١٠ .

٧٣- تفسير ، ٣٠٤/٣٠.

٧٤- سورة الفيل : الاية : ١-٥ .

٧٥- مجاهد ، تفسير ، ٧٨٣/٢، ابن هشام ، السيرة ، ٥٥/١ ؛ الطبري ، تفسير ، ٣٠٤/٣٠؛ الطوسي ، تفسير ، ٤١٠/١٠-٤١١ ؛ الطباطبائي ، الميزان ، ٣٦٢/٢٠-٣٦٣.

٧٦- تفسير ، ٤٤٦/١٠، ٤٢/١.

٧٧- ابن اسحاق ، السيرة ، ٤٠/١ ؛ ابن هشام ، السيرة ، ٥٣/١ –٥٤ ؛ ابن كثير ، تفسير ٥٥٥/٥ –٥٥٦ الطباطباني ، الميزان ،٣٦٣/٢٠ .

٧٨- ابن اسحاق ، السيرة ، ٤٢/١ ؛ ابن هشام ، السيرة ، ٥٤/١ ؛ الطبري ، تاريخ ، ٤٤٤/١؛ ابن كثير ، تفسير ، ٥٥٦/٤.

٧٩- تفسير ، ١٠/ ٢٥٤ .

٨٠- ٨٠–تفسير ، ٥٥٣/٤ .

٨١- ابن هشام ، السيرة ، ٦٢/١–٦٨ ؛ الازرقي ، اخبار مكة ، ١٤٨/١ ؛ الطبري ، تاريخ ٤٤٣/١–٤٤٤ ؛ المسعودي ، مروج الذهب ، ٤٤٧/٢ .

٨٢- ابن خياط ، ابو عمر خليفة بن خياط العصفوري ، (ت٢٤٠هـ) ، تاريخ خليفة بن خياط ، تحقيق : اكرم العمر ، ط١ ، مطبعة الاداب ، (النجف ٠ ١٩٦٧م) ، ٦/١–٧ .

٨٣- ابن الاثير ، الكامل في التاريخ ، ١٤٥/١ ؛ ابن كثير ، تفسير ، ٥٥٦/٤ ؛ الحلبي ، السيرة الحلبية،٩٩/١،الشريف ،مكة والمدينة، ٩٩/١ .